

الفصل السابع

مدارس التربية الإسلامية

ويتضمن هذا الفصل ما يلي :-

- ◆ المدرسة الفلسفية .
- ◆ المدرسة الكلامية .
- ◆ المدرسة الصوفية .
- ◆ المدرسة الفقهية .
- ◆ فلاسفة التربية الإسلامية .
- ابن سينا .
- الامام الغزالي .
- ابن خلدون .

الفصل السابع

مدارس التربية الإسلامية

يمكن حصر مدارس التربية الإسلامية أربعة مدارس هي ^(١)

١- المدرسة الفلسفية:

ومن أعلامها الكندي ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا وغيرهم من المفكرين الذين ، احترفوا الاشتغال بالمسائل الفلسفية البحتة .

٢- المدرسة الكلامية:

وهي نسبة إلى علم الكلام ، وهو العلم الباحث عن الأحكام الاعتقادية ، كما يعرف بعلم التوحيد .

٣- المدرسة الصوفية:

وقد تعددت واختلفت مفاهيم التصوف باختلاف الظروف والمراحل التي مر بها ، إلا أن هناك أساساً هاماً من أسس التصوف لا خلاف عليه - في صورته الأصلية - هو أن أخلاقيات مستمدة من الإسلام .

٤- المدرسة الفقهية:

المقصود بالفقه أنه علم الأحكام الشرعية العملية في أدلتها التفصيلية ، وتعد المدرسة الفقهية أكثر المدارس التي توصل إليها الفقهاء عن طريق الاجتهاد ، والتي تمثل في مجموعها أساساً راسخاً قامت عليه العديد من الآراء التربوية ، وقد اعتمدت المدرسة الفقهية في آرائها على عدد من مبادئ تتمثل فيما يلي .. مبدأ التوحيد . مبدأ المساواة . مبدأ مخاطبة العقل . مبدأ إحاطة العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهدبة للنفس ، مبدأ الاعتماد على التكليف الشرعي . لإصلاح الروح وتطهيرها ، مبدأ التأخي في الدين والدنيا ، مبدأ المساواة والعدالة ، مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبدأ الشورى ، مبدأ الحرية ، مبدأ التكافل ^(٢)

^(١) انظر :

ابراهيم مذكور ، الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢ .

عبد الجابر بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، حققه عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٣٢٦ .

(٢) محمد الحسيني حنفي ، المدخل لدراسة الفقه ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١١ .

أولاً: المدرسة الفلسفية

فلاسفة التربية الإسلامية

يقول أبو الفتوح رضوان أن المواطن الذي تعلم في المدرسة يعرف عن روسو أكثر مما يعرف عن ابن خلدون ، وعن جون ماکورى أكثر من الطبري وابن الأثير ، وعن نابليون أكثر من خالد بن الوليد ، وعن ياسبرز أكثر من أبي الفخر الرازي ، وعن ماجلان أكثر من الإدريسي فمن أين يأتي شعوره بعروبتة وولائه وإيمانه بها (١) وإذا كان هذا هو الواقع في ميدان العلم والحرب والسياسة فهو في ميدان التربية أشد تأكيداً وأكثر وضوحاً . ورغم أنه قد ظهرت بعض الدراسات التي تتناول " التربية العربية " وهناك دراسات أخرى في طريقها إلى الظهور إلا أن الأمر مع ذلك ما زال يحتاج إلى مزيد من الجهود لإثراء هذا الميدان حتى يصبح لنا تاريخ تربوي يقرؤه الطلاب مفصلاً موضحاً أشد ما يكون التفصيل والوضوح (٢).

وفيما يلي محاولة لإيضاح الجوانب التربوية لثلاثة من المفكرين المسلمين اتفقت كلمة القدماء والمحدثين على أنهم من أشهر مفكري الإسلام وأعلام منزلة وأعظمهم وهم . . .

[ابن سينا - الإمام الغزالي - ابن خلدون]

(١) أبو الفتوح رضوان : فلسفة الجماعة وسلوك الأفراد ، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ، يونيو ١٩٥٨ ، ص ١٥٧ .

(٢) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : الآراء التربوية ، كتابات ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

ابن سينا

" الطبيب العالم النفسي والفيلسوف المربي

٣٧٠ - ٤٢٨ هـ

نشأته وحياته :

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، لقب بالشيخ الرئيس لغزارة علمه في الطب ، وعلم النفس ، والفلسفة والتربية ، ولد ٣٧٠ هـ — بقرية فرمتين قرب بخارى حيث كان أبوه يعمل هناك .

عاش ابن سينا في القرن الرابع الهجري تلك الفترة التي تمثل أزهى عصور الدولة العباسية من ناحية العلم والمعرفة وخاصة بعد انتشار حركة الترجمة ، حيث نقلت إلى العربية كتب مؤلفة بلغات أجنبية مختلفة (يونانية — سريانية — فارسية) كما أنها تبحث في الطب والفلسفة والمنطق ، والرياضيات ، والهندسة ، والكيمياء وغيرها وقد عكف علماء الإسلام علي هذا النوع من المعرفة وكثرت مجالس المناظرة ولم تأت سنة ٣٧٠ هـ — ٩٨٠ م وهي السنة التي ولد فيها ابن سينا في بلخ وما تلاها من السنين إلا والثقافة العربية الإسلامية في أوجها .

نشأ ابن سينا في تلك البيئة الحافلة بالعلم والمعرفة وكانت أسرته مشغولة بخدمة الدولة ، وكان أبوه يحضر له المعلمين ويستقبل في داره العلماء والفلاسفة وكان أبوه وأخوه من طائفة الإسماعيلية ، وقد روى عنه تلميذه الجوزجاني أنه قال " كان أبي من أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية وقد سمعت منهم ذكر النفس والعقل علي الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك كان أخي ^(١)

تعلم ابن سينا اللغة العربية (أداة المعرفة في ذلك العصر) علي يد أبي بكر أحمد بن محمد الخوارزمي ، وبعد أن تمكن منها تعلم الفقه ودرس الفلسفة كما تعمق في دراسة الطب والمنطق والطبيعة والرياضة بل فاق أساتذته عصره في هذه العلوم ، كما تتلمذ علي كتب أبي

(١) محمد عطية الأبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، مرجع سابق ، ص ٢١٦

نصر الفارابي المعلم الثاني وكان بن سينا سريع التحصيل ، قوي الذاكرة ، سريع التدوين . وألف وهو في الحادية والعشرين من عمره كتاب المجموع ^(١) .

وقد ألف بن سينا العديد من المؤلفات في مختلف المواضيع وقد أحصاها الأب قنواطي ^(٢) . كما أحصت دار الكتب المصرية مؤلفاته وشروحها ، في قائمة تحتوى على أكثر من مائتين وخمسين مطبوعاً ومخطوطاً .

آراؤه في التربية :

رغم أن كتابات بن سينا في التربية والتعليم قليلة إذا ما قورنت بعدد مؤلفاته الأخرى . وغزارة إنتاجه إلا أننا نجد يتناول نفس المشكلات التي تواجه رجال التربية فقد ، تحدث عن (الإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق) كما أفرد رسالة للتربية بعنوان "السياسة " كما تحدث عن تربية الطفل في كتاب " القانون " وهو بذلك يمثل صورة صادقة لإلتقاء الفلسفة بالتربية . حيث أن رجل التربية والفيلسوف يتعرض كل منهما لنفس المشاكل " مشكلة الحق ، الخير . الطبيعة الإنسانية ، طبيعة العالم ، المعرفة ، وقد اتضح ذلك من خلال كتابات ابن سينا في التربية والتعليم هذا فضلاً عن أنه اشتغل بالتدريس مدة غير قصيرة وبذلك تحولت فلسفته إلى نظرية تربوية مارسها بنفسه ^(٣) .

وبذلك أسهم ابن سينا في وضع قواعد التربية الإسلامية ونظرياتها وفيما يلي عرض لأهم آرائنا في التربية :

المنهج الأولي للتربية الإسلامية :

يرى ابن سينا أن تربية الطفل تبدأ بتعليم القرآن عندما يكون هناك استعداد جسمي وعقلي . ويكون ذلك في البداية عن طريق التلقين دون معرفة القراءة والكتابة ، ثم بعد ذلك يتعلم حروف الهجاء والمطالعة بالطريقة الجزئية ، ويلقن معالم الدين ويحكي له قصص الأنبياء . وقد أعطي ابن سينا الشعر جانباً من الاهتمام ، كما أنه اعتمد عليه كوسيلة للتربية الخلقية ، كما أنه حدد نوعية الشعر التي يجب تعلمها فقرر ألا يدرس منه إلا ما تعلق بالأدب والعلم والأخلاق .و

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) الأب قنواطي : مؤلفات بن سينا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

لمزيد من التفصيل انظر عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة

المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٧٢ - ٣٨٢

(٣) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : الآراء التربوية في كتابات ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ٥ - ٦

و بذلك راعي ابن سينا أحدث مبادئ التربية وهي البدء بالسهل ثم الانتقال منه إلى الصعب مع مراعاة قدرات الطفل ومستوى إدراكه .

وبذلك يمكن القول بأن ابن سينا كان مربيا بمعنى الكلمة ، فقد نادى بأن تثبت الأخلاق الكريمة في نفس الطفل منذ المراحل الأولى ، كما غرس فيه المثل الإسلامية العليا منذ الصغر .

الصفات التي يجب أن يتحلى بها المدرس في نظر ابن سينا :

قال ابن سينا : " ينبغي أن يكون مؤدب الصبية ، بصير أ بريضة الأخلاق ، حاذقا بتخريج الصبيان ، وقورا ، رزينا ، غير لين ولا جامد ، لييبا ، ذا مروءة ونظافة ونزاهة .

يتضح من هذا القول أن ابن سينا يشترط في مربى الأطفال أن يكون عاقلا حكيما ، حسن التصرف ، شديد التفكير ، صائب الرأي ، وليس شديد الانفعال لأن مثل هذا لا يصلح لمعاملات الأطفال ، كما يجب أن يكون المربي متدينا ، صالحا ، تقيا يعرف الله ورسوله ، ويخاف الله في السر والعلانية ، كما يجب أن يكون علي علم بريضة الأطفال لأن تربيتهم تحتاج لخبرة ودراسة وإعداد خاص ، فمهنة تربية الأطفال ليست سهلة بل هي مهنة تحتاج إلى معرفة بعلم التربية وحب الأطفال ، وميل لمهنة التعليم وأمانة في العلم وإخلاص في العمل وفي ذلك يقول ابن سينا : " من أهم الأمور وأصعب المهن التي تحتاج إلى مقدرة ومعرفة بالأطفال ومما يخالف العقل والمنطق أن يقوم بتربية الأطفال وتعليمهم مدرسون لا يعرفون شيئا عن التربية ونظرياتها وطرق تدريس المواد التي يقومون بتدريسها كما ينصح ابن سينا المعلم أن يكون رزينا وقورا ، أي بحسن التدبير والإدارة ويحافظ علي النظام ، أن يكون لييبا ، أي يكون علي خلق وأن يكون قدوة حسنة ، وأن يكون ذا مروءة ونزاهة " أي يكون مخلصا " محبا للأطفال بطبيعته ، وأن يكون نظيف الوجه والملابس حسن المظهر خاليا من الأمراض والعاهات الجسمية ، وأن يزودهم بما يحتاجون من ثقافة ، وأدب وعلم واختراع (١)

التربية لكسب العيش :

يرى ابن سينا أنه بعد أن تم تثقيف الطفل الثقافة الدينية اللغوية الملائمة له عاد فنظر في أمر المتعلم وميوله ورغباته التي يميل إليها ، ثم توجيهها الوجهة التعليمية التي يريدها سواء كانت دراسات أدبية أو طبيعية فمستقبل الشباب يحتاج إلى تفكير وتدبير عند اختيار الدراسة التي تتفق مع

(١) محمد عطية الأبراشي : روح التربية والتعليم ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ ،

ميولهم واستعداداتهم ، فلو وجه كل شاب إلى الناحية التي تؤهله لها صفاته الجسمية والعقلية والخلقية لوجدنا العديد من الشباب المهرة في ناحية من نواحي الحياة العملية^(١) .

التربية الخلقية :

كان ابن سينا حريصا علي تنشئة الطفل تنشئة دينية صحيحة ، والتربية الدينية كفيلا بتحقيق هذا الهدف . وقد أجمع علماء التربية وفلاسفتها في القرن العشرين علي أن الغرض الأخلاقي هو الغرض الحقيقي للتربية التي يجب أن يسعى المربي إلي تحقيقه . إلا أن هذا لا يعنى إهمال الجانب الجسمي والعقلي والاجتماعي للتربية ، كما لا يعنى إهمال التربية العملية أو العلمية .

من ذاك ندرك أن غرض التربية الخلقية هو خلق أفراد مهذبين يمتلكون إرادة قوية يتمسكون بالفضيلة ويفعلون الخير ابتغاء مرضاة الله . ولكي يتحقق هذا الغرض لابد من تربية الأفراد في بيئة مناسبة تتسم بالتهذيب والكمال سواء كانت (الأسرة — المدرسة — المجتمع) (٢) .

وبذلك يتضح حرص ابن سينا علي المناداة بالتربية الخلقية حيث أن الأخلاق هي كل شئ في الحياة . وقد احتلت التربية الخلقية مكانة كبيرة في التربية الحديثة ، ودليل ذلك أنها توجب علي المدرس التركيز علي ذكر الحاجة الملحة للأخلاق الفاضلة ، والعادات الخلقية الحسنة ، الاعتماد علي النفس ، حب العمل . . . الخ . من صفات أخلاقية يجب أن يتحلي بها النشئ لأن الحاجات التربوية ليست قاصرة علي جانب العلم فقط (٣) .

كما أنه يرى أن للقدوة الحسنة والبيئة الطيبة والعادات الحسنة أثرا علي تربية الطفل تربيا خلقية، فالطفل سريع التأثر والمحاكاة بزملائه وأقرانه الذين يتعلمون معه في المدرسة أو يلعبون معه فبالقدوة الحسنة نستطيع أن نعودهم الصلاة والصوم منذ الصغر ، ونعودهم الإحسان إلي الفقراء ، ونعلمهم آداب الإسلام منذ الطفولة لأنها أهم المراحل ، بل هي أساس التربية، كما اتخذ ابن سينا الميل الفطري لدى الطفل للاجتماع بالأطفال الآخرين أداة فعالة من أدوات التربية الخلقية . كما أن هذا الاجتماع يخلق جوا من المنافسة ويشعل الحماس بين هؤلاء الأطفل .

(١) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ط ٢ ،

١٩٦٩ ، ص ص ٢١٦ - ٢٢٨ .

(٢) محمد عطية الأبراشي : روح التربية والتعليم ، مرجع سابق ، ص ٣٩ - ٤١ .

(٣) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

، أما إذا اقتضت الضرورة العقاب ، فإنه ينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر ، فلا يؤخذ الوليد أو لا بالعنف وإنما بالتلطف ، ثم تمزج الرغبة بالرهبة وتارة يستخذه العبوس ، أو ما يستدعيه التأنيب ، وذلك وفق كل حالة خاصة ، ولكن إذا أصبح من الضروري الضرب فينبغي ألا يتردد المربي علي أن تكون الضربات الأولى موجعة فإن الصبي يعد الضربات كلها هينة ، وينظر إلي العقاب نظرة استخفاف ، ولكن الإلتجاء إلي الضرب لا يكون إلا بعد التهديد والوعيد ، وتوسط الشفعاء ، لإحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل ، كما يؤكد علي ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال ، مع مراعاة قدراتهم واستعداداتهم وميولهم . وهذا ما ينادى به علماء النفس والتربية اليوم .

ومما هو جدير بالذكر أن ابن سينا عندما تحدث عن المبادئ الخلقية لم يغفل العقاب وبذلك استطاع أن يضع صورة كاملة عن تربية الطفل .

ما ينبغي أن يؤخذ به في تربية لأطفال : وفي ذلك يقول ابن سينا :

" لابد من تربية الطفل وتهذيبه وتعويده الخصال الحميدة والعادات الحسنة منذ المراحل الأولى للتربية قبل أن ترسخ فيه العادات السيئة القبيحة ، وتلك هي الآراء التي نادى بها فلاسفة التربية الحديثة في القرن العشرين (روسو ، فروبل ، وبستالوزي ، وسبنسر ، وفز ، وديوى ، وأدلر) في المناداة بال العناية بالطفل منذ السنوات الأولى من طفولته .

وقد كان رأيه في العقوبة حكيما . فقد راعى اختلاف العقوبة من طفل إلي آخر وفقا لم يناسبه ، فيجب أن لا يلجأ المربي - الأسرة - المدرسة إلي الضرب إلا بعد التهديد والوعيد ، وتوسيط الشفعاء . فإن لم يصلح معه ذلك فلا بد من العقوبة البدنية . علي أن تكون موجعة مؤلمة حتى لا يستخف بها ويكون لها أثرها الفعال في نفس الطفل ^(١) .

ويمكن استخلاص أهم آراء ابن سينا في التربية والتعليم وإيجازها فيما يلي :

- إن هدف التربية هو خلق مواطن صالح جسما وعقلا وخلقا ، وإعداده لعمل حرفة . سواء أكان هذا العمل يدويا أو نظريا ، يتصل بالعلوم العقلية أو النقلية وفق ميول هذا المواطن وقدراته مما يساعد هذا المواطن علي المشاركة في بناء المجتمع .

(١) محمد عطية الأبراشي : الاتجاهات الحديثة في التربية ، عيسى البابي وشركاه ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ

٢ - أن ابن سينا قد اهتم بالطفل منذ أن يولد وأعطانا صورة رائعة لاهتمام مفكرى الإسلام بالسنوات الأولى في حياة الطفل .

٣ - ميز ابن سينا بين ثلاث مراحل تعليمية مختلفة (مرحلة الروضة ، مرحلة التعليم الأولي، مرحلة التعليم الثانية) .

في مرحلة الروضة : توجه العناية إلى النمو البدني والوجداني والأخلاقي .
ومرحلة التعليم الأولي : لابد أن يتأخر التعليم إلى سن السادسة حتى يكون الطفل قادرا من الناحية العقلية على تلقي الدراسة كما يجب أن يكون التعليم بالتدريج .
مرحلة التعليم الثانية : وهي مرحلة التخصص وظهور الميول والقدرات الخاصة والتوجيه التربوي والمهني .

٣ - مناهج التعليم عند ابن سينا بالنسبة لمرحلة الحضانة في الألعاب والموسيقى مع العناية بالتربيا الخلقية ، ومرحلة التعليم الأولي العناية بحفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتابة وتعليم الدين . وكذلك حفظ شئ من الشعر العربي الذي يحس على مكارم الأخلاق ، وفي المرحلة العالية يكون التخصص وتختلف المناهج باختلاف نوع الدراسة التي يتخصص بها الطالب .

٤ - كما أوضح ابن سينا طرق التدريس وهي تتمثل فيالأعتماد على الحفظ ، مثل حفظ القرآن الكريم ، وشيئ من الشعر عن ظهر قلب ، تعلم الخط بالطريقة الحرفية أو الهجاء ، وفي المرحلة العالية تستخدم طريقة الإملاء والمناقشة ، والمناظرة ، والشرح العادى ، والشرح بالتصنيف ، وطرق البحث والاطلاع ، كما أن الحفظ يظل أيضا في تلك المرحلة ، كما اعترف بضرورة اللعب ، كما دعا إلى ضرورة الممارسة العملية لما يتعلمه الطالب كما أقر مبدأ الثواب والعقاب كأسلوب من أساليب التربية ،

كما أكد على ضرورة وجود " القدوة " في حياة الطالب .

٥ - وإذا كان ابن سينا " أغفل تعليم البنات " فهذا ليس إنكارا منه لحقها في التعليم بل ترك تلك المهمة لأسرتها تمثيا مع فلسفته الخاصة وفلسفة المجتمع العامة في ذلك الوقت أن المرأ للمنزل والرجل للكسب^(١) .

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : الآراء التربوية في كتابات ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

الإمام الغزالي

٤٥٠ - ٥٠٥ هـ

١٠٥٨ - ١١١١ م

نشأته :

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، حجة الإسلام وشيخ الصوفيين ، إمام المربين .
وصاحب كتاب إحياء علوم الدين .

ولد عام ٤٥٠ هـ في مدينة الطابران عاصمة طوس وتوفي فيها سنة ٥٠٥ هـ ، درس مبادئ العلوم وتتلّمذ علي يد الجويني إمام الشافعية . أصبح من علماء الشافعية وكبار الأشاعرة . اشتهر بحضور البديهة والقدرة علي الحوار والمناظرة ودفاعه عن الإسلام والأخلاق الإسلامية والروح الديني ، كما أعجب الناس حسن كلامه ، وكمال فضله ، وسعة علمه ، وأحبوه وجعلوه في قلوبهم ، واستمر يدرس بالمدرسة النظامية ، وحقق مكانة عالية ، وأصبح تضرب به الأمثال حتى انقطع للعبادة وترك الدنيا وراء ظهره ، وفضل حياة العزلة والاعتكاف وأقبل علي الآخرة يعامل الله في السر والعلانية .

آراؤه في التربية :

١ - الغرض من التربية في نظر الغزالي (١) :

يرى الغزالي أن الغرض بطلب العلوم هو التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة . فالإمام الغزالي يرى أن الغرض من التربية والتعليم هو التقرب إلي الله وليس الغرض منها التطلع إلي الرياسة والتظاهر والمباهاة لأن ذلك يؤدي إلي الحقد والبغض والكراهية .

قال الإمام الغزالي : إذا عرفت مراتب العلوم ، وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث " كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذ قصد به التقرب إلي الله " .

(١) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار القلم (د.ت) ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٥٠ .

ويقول : كلما أحسست بعجزى وتسقط كلية اختياري التجأت إلى الله التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل علي قلبي الإعراض عز المال والحيلة .

كما أن التربية تجمع بين الدين والدنيا :

قال الغزالي : " وقد عرفت أن ثمرة العلم . القرب من رب العالمين ، والالتحاق بأفق الملائكة ، ومقارنة الملاء الأعلى هذا في الآخرة ، أما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم علي الملوك ولزوم الاحترام في الطبائع .

والتربية في رأيه هي " إخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة " .

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي : " الوظيفة الأولى للمتعلم "تقديم طهارة النفس على رذائل الأخلاق ، ومزوم الأوصاف ، إذن العلم عبادة القلب وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله وكما لا تصلح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبث فكذا لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق وأنحاس الأوصاف" (١) .

رأي الإمام الغزالي في فضائل العلم والتعلم والتعليم :

فضيلة العلم (٢) :

استشهد الإمام الغزالي بالعديد من الآيات القرآنية علي فضل العلم ، وكيف أن الله ﷻ جعل العلماء في مكانة عالية رفيعة في هذا المجال يقول الله ﷻ : " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط " (٣)

كما أن الإنسان يولد مفطورا علي حب المعرفة والاستطلاع وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " (٤) .

(١) المرجع السابق : ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥ - ٨

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨

(٤) سورة النحل : آية ٧٨

وبذلك استطاع الإنسان أن يتعلم ليكتشف سنن الكون وحقائق الوجود عن طريق السمع، الرواية، البصر، الملاحظة، الفؤاد والتفكير كل هذه الوسائل وضعها الله عز وجل في الإنسان وسيسأل عنها أمام الله وفي ذلك يقول الله ﷻ: "ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً" (١). كما أوضح الإمام الغزالي أن أولي العلوم هي علوم الدين التي يعرف بها الإنسان ربه ونفسه وفي ذلك يقول ﷻ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (٢). كما أن العلم بحر لا قرار له، من أجل هذا يجب علي طالب العلم أن ينشد الزيادة منه بصفة مستمرة، وفي ذلك يقول الله ﷻ: "وقل رب زدني علماً" (٣).

كما قص علينا القرآن الكريم قصة سيدنا موسى عليه السلام، في طلبه علم ما لا يعلم عند عبد الله الخضر، عليهما السلام، وفي ذلك قال قتادة: لو كان أحد يكتفي من العبد بشئ لاكتفي موسى عليه السلام، ولكنه قال: "هل أتبعك علي أن تعلمني مما علمت رشداً" (٤).

ففي الآية الكريمة جعل الله ﷻ العلماء بعده تبارك وتعالى والملائكة، فما أعظم من ذلك تقديراً وعزاً وإجلالاً.

قال تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (٥) وقال تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" (٦).

ومن الآثار في فضل العلم قول سيدنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، العالم أفضل من الصائد القائم المجاهد... وإذا مات العالم تلم الإسلام ثلثة (٧) لا يسدها إلا خلف منه.

(١) سورة الإسراء: آية ٣٦ (٢) البخاري: باب العلم

(٣) سورة طه: آية ١١٤ (٤) سورة الكهف: آية ٦٦

(٥) سورة المجادلة: آية ١١ (٦) سورة العنكبوت: آية ٤٣

(٧) لثلثة: (الخلل في الشئ)

وقال ابن عباس ، رضي الله عنه " خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم ، فأعطى المال والملك معاً .

وقال بعض الحكماء : " إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء . . . والطير في الهواء . . . ويفقد وجهه . . . ولا ينسى ذكره " .

فضيلة التعلم والتعليم (طلب العلم) :

ذكر الإمام الغزالي العديد من الآيات القرآنية للاستشهاد بها على فضيلة التعلم ، منها على

سبيل المثال قول الحق تبارك وتعالى " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (١) والمقصود بأهل الذكر في الآية الكريمة هم العلماء .

وقد ذكر الإمام الغزالي العديد من آيات القرآن التي تحث على نشر العلم وتعليم غير المتعلمين من النشء وإرشادهم إلى الدراسة والبحث وأن يبينوا للناس الخير من الشر والحسن من القبح والحلال من الحرام (٢)، ومن هذه الآيات قوله تعالى : " فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " (٣).

المراد بالإنذار في الآية الكريمة تعليم قومهم وإرشادهم . كما شاع بين المسلمين هذه الحكمة اطلب العلم من المهد إلى اللحد " وحكمة أخرى " لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل "

وقال ابن عباس : منهومان لا ينقضي نهמתهما ، طالب علم وطالب مل .

وقيل لابن المبارك : إلى متى تطلب العلم . . قال حتى الممات إن شاء الله .

وقال مالك بن أنس : لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم (٤)

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : (٥) لأن التعلم مسألة أحب إلي من قيام الليلى .

وقال أيضاً : العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم .

وقال أيضاً : كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧ ، سورة النحل ، آية ٤٢

(٣) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين ، المرجع السابق ، ص ص ٩ - ١١ .

(٤) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(٥) يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٩٨ - ٩٩

(٥) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٨

يرى الإمام الغزالي أن مهنة التعليم هي أشرف مهنة وأفضل صناعة يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة له ، كما أن التعليم في نظر الغزالي هو : إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة ^(١)

آداب المتعلم في رأي الإمام الغزالي ^(٢):

ينبغي لطالب العلم أن لا يتكبر على المعلم ، وأن يكون متحاباً مع زملائه من المتعلمين ، وأن يبتعد في بداية دراسته عن الخلافات بين المذاهب في المسائل العلمية ، وأن لا يدع أي علم أو فن من العلوم المحموده إلا ونظر فيه .

واجب المعلم في رأي الإمام الغزالي ^(٣)

ومن واجبات المعلم الشفقة مع المتعلمين فهم بمثابة أبنائه ، وأن يقتدى برسول الله ﷺ فلا يطلب علي إفادة العلم أجراً بل يكون الهدى منه ابتغاء مرضاة الله . وكانت تلك الصور المثلى للمعلمين في العصور الذهبية للإسلام إلا أن هذا لا ينتظر من مدرسي اليوم — عده تقاضي أجر — بل تنتظر منهم شيئاً واحداً وهو الإخلاص في عملهم لإرضاء الله ﷻ وعلى المعلم ألا يدع من نصح المتعلم شيئاً وهذا ما تنادي به التربية الحديثة .

ومن واجبات المعلم أيضاً أن يزجر المتعلم عن سوء خلقه بالتعريض لا بالتصريح . بالرحمة لا بالتوبيخ ، وبذلك اتفق الإمام الغزالي مع علماء التربية وعلم النفس والأخلاق . في معاملة الطفل إذا أخطأ ، وعلى المعلم ألا يتعصب لمادته ويفكر في النهوض بالتلميذ . ويراعي شعور زملائه ، ويتعاون معهم وعليه أن يراعي قدرات التلميذ ومستوى فهمه .

وبحق يمكن القول بأن الإمام الغزالي سبق علماء التربية في القرن العشرين وهو متأثر بمعل البشرية سيدنا محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم حيث أنه ، ﷺ ، أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونضعهم درجاتهم ، ونخاطبهم علي قدر عقولهم ، ونحدثهم باللغة التي يدركونها ، والأسلوب الذي

(١) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ١١ - ١٢

(٢) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٤

- أحمد عرفات القاضي : الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،

١٩٩٦ ، ص ٣٤٨ - ٣٥٤

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٤ - ٣٤٦

يفهمونه ، والطريقة التي تتلاءم معهم . وبذلك سبق سيدنا محمد ﷺ المربين جميعا في رأيه منذ أربعة عشر قرنا. حيث أن هذا الرأي أفضل مبدأ تنادي به التربية الحديثة .

كما يقول الإمام الغزالي علي المعلم أن يكون عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله لأز العلم يدرك بالبصائر أما العمل فيدرك بالإبصار وأرباب الإبصار أكثر " . فلكي يثمر مجهود المدرس لابد أن يكون مخلصا في عمله ، طاهر القلب ، عاملا بما ينادي به وفي هذا يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " إن أخوف ما أخاف علي هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما ؟... قال عليم اللسان ، جامد القلب والعلم ، اى على المعلم ان يتحلى بتلك الصفات السابق ذكرها ولا بد ان تكون سلوكياته تطبيق لما ينادى به .

قال : " عليم اللسان ، جامد القلب والعلم "

آراؤه في التربية الخلقية ^(١):

١- تشجيع الأطفال علي الأخلاق الكريمة:

يقول الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين في هذا المجال : " علي المعلم أن يراعي ميول الأطفال ورغباتهم ، وأن يستعمل وسائل التشجيع لأن كلمة الثناء والتشجيع تقود الطفل إلي الخلق القويم والطريق المستقيم ، كما أن تجاهل المعلم خطأ الطفل في المرة الأولى دليل الحكمة وبعد النظر والمحافظة على شعور الطفل . كما أن معاقبته سرا وتفهمه أثر أفعاله الحسن والقيح وتحذيره من تكرار الخطأ تعد من أحسن الطرق الحديثة في التربية اليوم وهذا يعني أن الطفل يتأثر تأثيرا كبيرا بحسن المعاملة كما يتأثر كل التأثير بكلمة التشجيع ، ويمكن أن تملكه بكلمة مدح كما أنه قابل لأن يفهم ، ولكنه في حاجة لمن يفهمه ويدفهقه ويحسن معاملته

٢- استعمال اللوم والتوبيخ والعقاب بحكمة:

يقول الغزالي " يجب على المربي أن لا يوجه اللوم والعتاب بصورة مبالغ فيها حتى يكون له أثر في نفوس الأطفال ، فلا يعاتبهم على كل صغيرة وكبيرة ، وعلى الأب أن يحفظ هيئته مع أبنائه وعلى الأم أن تتعاون معه في تربية الطفل فتعظه وتوضح له هفوته ،

(١) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، جـ ٣ (بيان الطريق في رياض الصبيان في أول نشوئهم ،

ووجه تأديبهم وحسين أخلاقهم) ص ٦٣

وترشده بحكمة على انفراد حتى يكون لتلك الموعظة آثارها الايجابية المميزة فيبتعد عن القبح ويعتاد الخلق الكريم .

٣- منعه من أن يفعل الشيء خفية :

فيجب أن تعودده على الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، وإرضاء الله في السر والعلانية ، والتفكير في نتيجة الشيء قبل الإقدام عليه .

٤- كيف يعامل أقرانه :

أن لا يتفاخر بما يمتلكه والده ، أو بما يأكل ويلبس وما لديه من أدوات ، بل عليه أن يتعود التواضع مع أقرانه ، ويكون كريما ولطيف الحديث معهم . فالهدف من تربية الأطفال أن يكونوا مثلاً للأدب والتواضع ورقة الجانب ولطف المعاملة .

٥- الزهد والرفعة في العطاء لا الأخذ :

يرى الإمام الغزالي في التربية الخلقية أن تعود الطفل الغني و الزهد ، ونغرس في نفسه الرفعة في إعطاء المحتاجين والإحسان إليهم ، لا في السؤال والاستجداء والأخذ من الناس ، وأن الأخذ فيه خسة ودناءة ، وأن تعلم الطفل الفقير عزة النفس وأن الطمع ومد اليد للأخذ فيه إذلال ومهانة .

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي (ينبغي أن)

" يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة . وإن كان من أولاد الفقراء يعلم ، أن الطمع والأخذ مهانة وزلة ، وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يبصص في انتظار لقمة ، والطمع فيها ، وبالجملة يقبح إلى الصبيان حيث الذهب والفضة ، والطمع فيها ويحذرون منهما أكثر مما يحذرون من الحيات والعقارب ، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضا " .

٦- الآداب العامة في نظر الغزالي :

يقول الإمام الغزالي : " ينبغي أن يتعود الطفل ألا يبصق في مجلس ، ولا يتشاعب ولا يتمخط بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رجلا على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه على ساعده فذلك دليل الكسل ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة ، الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة ، وإنه فعل أبناء اللئام ، ويمنع

اليمين صدقاً ، أو كذباً حتى لا يعتاد على ذلك . كما يمنع أن يبدأ بالكلام ، ولا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً ، وأن يقوم لمن فوفقه ويوسع له المكان . ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري لسانه بشيء من ذلك ، لأنهم قرناه سوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء سوء " .

تلك الآداب العامة تمثل التربية الاجتماعية ونحن في أمس الحاجة إليها في البيت والمدرسة والمجتمع . فإذا التزمنا بتلك الآداب والنصائح لمستطعنا أن نكون رجالاً كاملاً من الناحية الاجتماعية يهتم بنفسه والآخرين ، ويحترم من هو أكبر منه ، ولا يفعل شيئاً ينتقد عليه فيكون مثلاً للتربية الكاملة فيما يقول ويفعل .

٧- الصبر إذا ضربه المعلم :

" وينبغي إذا ضربه المعلم ألا يكثر الصراخ والشغب ، ولا يتشفع بأحد ، بل يصبر ، ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال ، وأن كثرة الصراخ دأب الممالك والنسوان " فقد كانت العصا من وسائل التعليم وأداة من أدوات التربية .

وعلى المدرس أن يختار نوع العقوبة التي تتناسب مع الطفل فهناك فروق بين الأطفال في الأمزجة والطباع والميول والأخلاق ، كما يجب عليه أن يعرف تلاميذه معرفة حقه لكي يعامل كلا منهم المعاملة التي تليق به ، وأن تستعمل الحكمة ، كما يجب أن تكون العقوبة متوازنة مع الذنب ، ولا بد من معرفة ما دفعه لارتكاب الذنب حتى تؤتى ثمارها وتؤدي إلى إصلاحه وتهذيبه .

٨ - إطاعة والديه ومعلمه ومؤديه :

ينبغي أن يعلم الطفل طاعة والديه ، ومعلمه ومؤديه . وكل من هو أكبر منه سناً ، من قريب أو أجنبي ، وأن ينظر إليهم بعين الإجلال والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين يديهم كي لا يزعجهم وقت راحتهم . وفي الجهة المقابلة يجب على الآباء والأمهات ألا يتحكموا في أبنائهم كل التحكم ، ولا يتدخلوا في شئونهم وتفكيرهم واختياراتهم بطريقة مبالغ فيها ، بل يجب إعطاءهم شيئاً من الحرية في التفكير والاختيار وأن ينفس الواحد منهم عن نفسه ويعيش ويحيا حياة سعيدة ^(١) .

(١) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤

٩ - تربيته تربية علمية عملية :

يقول الغزالي : " ومهما بلغ في سن التمييز ينبغي ألا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم أيام رمضان ، ويجنب لبس الديباج والحريز والذهب ، ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام والخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب علي الصبيان " (٢)

وهذا يعني أن الغرض من التربية إيجاد حياة طاهرة ملؤها الإخلاص والطهارة ومن الممكن أن يلخص هذا الغرض في روحية واجدة وكلمة خلقية واحدة هي الفضيلة " (٣).

١٠ - آرائه في التربية الجسمية :

وفي التربية الجسمية يرى الإمام الغزالي إلى ضرورة المنع من النوم نهارا ومن التنعيم ، وكذلك العناية بالرياضة البدنية وممارسة اللعب الجميل . وهذا يعني أن الإمام الغزالي يدعو المربين لتربية النشئ تربية خشنة تساعد على مواجهة متطلبات الحياة والتغلب على صعوباتها ، كما تساعد على أداء احتياجاتهم بأنفسهم الاعتماد على أنفسهم .

أما عن آرائه في " آداب الطعام فقد كان الغرض منها تعويد الطفل القناعة ، وترك الجشع والاكتفاء بالطعام الضروري للحياة التربوية (٤) .

يمكن استخلاص أهم الآراء التربوية للإمام الغزالي فيما يلي (١) :

١ - التربية هي عملية تهذيب النفس حتى تدرك كمالها . كما أنها تهدف لإعداد المواطن ليعيش في هذا العلم ويتكيف معه ويتغلب على مشكلاته بل تهدف لتهيئته للحياة في العالم الآخر .

٢ - التربية التي يقصدها الإمام الغزالي تربية دينية ، فهدفه ليس الإنسان الفرد ، ولا المجتمع وطبيعته ومطالبه ، بل وضع نصب عينيه وجود الله عز وجل ووجوب طاعته حتى يحقق الإنسان غايته ، فقد احتوت تربية الإمام الغزالي على عناصر التصوف التي

(٢) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٤ - ٣٣١

(٣) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥

(٤) المرجع السابق : ص ٢٦٧ - ٢٧٩

انظر محمد يوسف موسى : فلسفة الأخلاق في الإسلام ، مكتبة الخاجي ، القاهرة ، ط ٣١ ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٧ - ١٨٠

(٤) محمد نبيل نوفل : أبو حامد الغزالي ، فلسفته وآرائه في التربية والتعليم ، مرجع سابق ، ص ٦ - ١

تتطلع إلى الله أكثر من احتوائها على مبادئ التربية التي تعمل من أجل الإنسان والمجتمع ، وقد انعكس هذا الطابع على مفاهيم التربية ومناهجها ، وطرق التدريس فيها ٣ - كانت آراء الإمام الغزالي في التربية على قدر من السعة والفهم والعمق والتكامل فالطفل يولد أشبه بصفحة بيضاء يخط عليها الآباء والمعلمون والبيئة والعقائد والمهارات التي تكون شخصية الإنسان الفرد ، كما ينبغي مراعاة خصائص الطفل وقدراته كفرد متميز ، ومعنى ذلك غرس مبادئ الدين والإخلاص والسلوك القويم فيه ، كما يوجب العناية إلى رياضته والترويح عنه وحمايته من الانحراف .

٤ - العلم عند الغزالي هو العلم الديني الذي يهتم بالآخرة أكثر من اهتمامه بالدنيا ومشكلاتها فهو أقرب إلى الميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة) أكثر من العلم الطبيعي ، كما أن وظيفة العلم تحقيق كمال الإنسان وإدراك سعادته بالقرب من الله .

٥ - المناهج أساسها تعليم بمبادئ الدين ، لأنها فرض على المسلم ، كما يتم اختيار المناهج على أساس فائدة العلم للمتعلم والمجتمع وبذلك كانت للعلوم الدينية من وجهة نظر الغزالي الأولوية على العلوم الطبيعية وغيرها من العلوم التي تبحث في أحوال الدنيا . وهذا يعني أن المنهج لا يهمل العلوم التي لا صلاح للمجتمع بدونها وإن كانت غير شرعية أو دينية .

٦ - كما حدد طرق تدريس الدين (التلقين - الحفظ ثم بعد ذلك الفهم) حسب استطاعة التلميذ .

عبد الرحمن بن خلدون

٧٣٢ - ٨٠٨ هـ

١٣٣٢ - ١٤٠٦ م

نشأته وحياته^(١) :

هو عبد الرحمن بن محمد الملقب بابن خلدون. ولد في تونس ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م وتوفي ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م ، نشأ بين أسرة عريقة في الشرف والسياسة . حفظ القرآن في سن السابعة ، كان كثير الترحال ، تولى مناصب سياسية عديدة إلا أنه ترك السياسة وانصرف إلى العلم ثم وضع المقدمة التي حققت شهرة كبيرة في كل مكان ، وقد ألفها في المغرب ثم بعد ذلك سافر إلى مصر ، حيث كانت مصر في ذلك الوقت مركز الثقافة الإسلامية ومركز للعلماء من كافة بلاد العرب .

عمل ابن خلدون بالتدريس في الأزهر ، وتعلم على يد كبار العلماء في مصر منهم (ابن حجر العسقلاني ، وتقي الدين المقرئ) - كما ولاه السلطان برقوق منصب قاضي قضاة المالكية ، وأسند إليه التدريس ببعض المدارس .

مما لا شك فيه أن ابن خلدون كان يتمتع بذكاء خارق وعقلية جبارة ، كما أنه اتسب بحسن الخلق وتمسكه بالفضائل . وقد احتلت مقدمة بن خلدون مكانة عظيمة نظرا لاحتوائها العديد من الدراسات والتحليلات فهي تحتوي على معظم آرائه في العلوم المختلفة خاصة في مجال التربية ، وقد تناول الباحثون والمحللون آراء ابن خلدون ونظرياته في شتى العلوم فهو مؤسس علم الاجتماع ، كما أنه فيلسوف ومؤرخ سياسي واقتصادي وفقه وأديب وصاحب منهج علمي . ولم يقتصر البحث والتحليل على علماء العرب ، بل امتد إلى علماء الغرب فكتبوا عنه في شتى فروع العلم والمعرفة باللغات الأجنبية^(٢) .

لقد كتب ابن خلدون عن التربية والتعليم إلا أن آراءه في هذا الميدان كانت عامة وشاملة، كما تميزت باعتمادها على خبرته العريضة ومشاهده الواسعة في هذا الميدان ، لذلك تعد أساسا عملياً

^(١) محمد عطية الأبراشي : أبو الفتوح محمد التونسي ، سلسلة أعلام الثقافة العربية وتوابع الفكر الإسلامي

(الجاحظ - الفارابي - ابن خلدون) ، مكتبة عيسى البابي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٩٤

^(٢) محمد ليبب النجيجي : الفكر التربوي ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ج ٢ ، ١٩٨١ ، ص ٢١٤

تجريبيا لقيام نظرية تربوية أصلية يمكن أن تضاف إلى نظرياته العلمية في شتى فروع المعرفة التي احتوتها مقدمته

آ راؤه فى التربية :

أولا : مفهوم التربية عند ابن خلدون :

التربية لدى بن خلدون تتمثل فيما يلى :

- ١- عملية تنشئة اجتماعية للفرد فهي تعود الفرد على العادات والقيم والاتجاهات السائدة فى المجتمع فى عملية تطبيع اجتماعي (٢) ويتضح ذلك فى قوله تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا " (٣) .
- ٢- ذلك يقول ابن خلدون " أن الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب " (٤) ، كما يرى أن التعليم صناعة من الصناعات الإنسانية لذلك يقول " أن الصنائع لا بد لها من المعلم " (٥) .
- ٣- عملية تعليم صناعة أو مهنة يعتمد عليها فى معيشتها ، فالتربية لديه تجمع بين النظرية والتطبيق (٦) .
- ٤- إكساب الفرد الأخلاق الطيبة التي تتفق مع تعاليم الدين ، وتحقيق السعادة للفرد والمجتمع (٧) يتضح من التعريف السابق النزعة الواقعية لدى ابن خلدون حيث أنه اعتبر التربية مهنة أو حرفة أو صناعة للمعلم .

(١) المرجع السابق : ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) مقدمة بن خلدون : ص ٤٤٩

(٣) سورة النحل : آية ٧٨

(٤) مقدمة بن خلدون : ص ٤٤٤

(٥) مقدمة بن خلدون : ص ٤٤٩

(٦) مقدمة بن خلدون : ص ٤٤٩

(٧) محمد أحمد الصادق كيلانى : الفكر التربوى فى مقدمة ابن خلدون ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية

التربية ، جامعة المنصورة ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٣

كما اتسمت أيضا بالشمولية حيث أنها تشتمل على العلوم والأخلاق^(١) . وللتربية أهمية كبيرة في بناء المجتمعات وتشديد الحضارات ، فالتربية لديه أداة بناء ووسيلة للنهوض وللرقى بالمجتمعات^(٢) .

ثانيا : أغراض التربية الإسلامية في نظرية ابن خلدون :

تمثل في غرضين هما :

" الغرض الديني " ويقصد به العمل للأخرة بالتقرب إلى الله **وَعَلَّكَ حَتَّى يَلْقَاهُ الْإِنْسَانُ** . وقد أدى ما عليه من حقوق .

" وغرض دنيوي " هو ما نطلق عليه التربية الحديثة غرض نفعي أو إعداد الفرد للحياة . فالتربية الإسلامية في نظر ابن خلدون جمعت الغرضين " الديني ، والدنيوي " ، ونجد هذا المعنى في قوله تعالى : " وابتغِ فِيمَ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا " ^(٣) وهي بذلك تختلف عن التربية القديمة ، اليونانية والرومانية . فالتربية الإسلامية تستهدف نشأ الطفل بحيث يصبح رجلا فاضلا ، طيب النفس له دور إيجابي نافع في الحياة .

وتتضح هذه الأهداف فيما يلي :

تكوين الفرد المسلم الفاضل

فالتربية الخلقية لها أهمية كبيرة في فكر ابن خلدون التربوي فقد أكد على ضرورتها لبناء الفرد والمجتمع ، كما أنه يحذر من سوء الأخلاق وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع ، ويتضح اهتمام ابن خلدون بالتربية الأخلاقية من اهتمامه بتدريس القرآن والحديث والعلوم النقلية ، كما أشار إلى أهمية القدوة بالنسبة للمتعلم فحرص على أن يكون المعلم قدوة سلوكيا ، لتلميذه " ^(٤) .

(١) أحمد محمود حسين عياد : نظرية المعرفة عند ابن خلدون وآثارها في الفكر التربوي ، مرجع سابق ، ص ١٤٥

(٢) المرجع السابق : ص ١٤٧

(٣) سورة القصص : آية ، ٧٧

(٤) محمد أحمد الصادق الكيلاني : الفكر التربوي في مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ١٨٥

٢- تزويد الفرد بالمعلومات والاتجاهات والقيم المختلفة :
فالتربية عملية مكتسبة ليست فطرية يكتسب الفرد من خلالها المعلومات والاتجاهات والقيم كما يكتسب الصنائع ، وقد اعتبر ابن خلدون العلم من جملة الصنائع ^(١) .

٣- تعليم الفرد مهنة يعيش منها :
وهذا يعهدفاً جديداً في التربية وهو أن يصبح التعليم وسيلة محترمة لكسب الرزق . وبذلك اختلف ابن خلدون عن مفكرى المسلمين الغزالي وغيره وكذلك الفلاسفة اليونان حيث أن هؤلاء اعتبروا أن من يبغي العلم كوسيلة لكسب الرزق إنما أتى أمرًا شائناً ^(١) .
٤- تعليم الفرد خبرات وتجارب سابقة :

حرص ابن خلدون على الاستفادة من تجارب وخبرات السابقين ، وخاصة الخبرات الاجتماعية ، كما اهتم بالخبرة العقلية وتدريب العقل ، وقد اتضح ذلك في الفصل الذي قال فيه أن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب ، والصنائع إنما تشتمل على القوانين ، والقوانين ما هي إلا قواعد يحكم بها الإنسان على الأشياء فى المواقف المختلفة التى تواجهه في حياته ، وهذا ما عبرت عنه التربية الحديثة "بانتقال أثر التدريب" ^(٢) .

٥- تعمل التربية على رقى الدولة وبناء الحضارات :
جعل ابن خلدون للتربية هدفاً حضارياً ، بل نجده يعقد فصلاً فى أن رسوخ الصنائع فى الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة ^(٣) ، وبذلك سبق ابن خلدون كتاب القرن التاسع عشر فى أوروبا أمثال بيكر وسبنسر فى وضع هدف جديد للتربية وهو ما ساعد الفؤد أن يحيا الحياة الطيبة ^(٤) ، وبذلك اتضحت النزعة البرجماتية فى التربية لدى ابن خلدون حيث جعل من العلم والتعليم أساليب لبناء الدول والحضارات ^(١) وبذلك حدد ابن

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ١١٧

(٢) فتحية سليمان : الاتجاهات التربوية فى مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٣٦

(٣) مقدمة ابن خلدون : مرجع سابق ، ص ٥٣٣

أحمد محمد حسين عياد : نظرية المعرفة عند ابن خلدون وأثرها فى فكره التربوى ، مرجع سابق ، ص ١٥٠

(٤) مقدمة ابن خلدون : ص ٤١٧

(٥) فتحية سليمان : مرجع سابق ، ص ص ٤٣٥ - ٤٣٦

(١) أحمد محمد حسين عياد : مرجع سابق ، ص ١٥٠

خلدون بدقة الغرض من التربية الإسلامية وهو إعداد أفراد لديهم القدرة على التكيف مع الواقع الاجتماعي المحيط بهم وأن يكون لديهم القدرة أن يحيوا حياة كريمة (٢)

آراؤه في التربية ووسائلها :

أولا : إعداد المعلم

• ضرورة إلمام المربي بفن التدريس والتربية والتعليم :

يؤكد ابن خلدون على ضرورة أن يكون المعلم — بالإضافة إلى عمله — ملما بقدرات الطفل وميوله واستعداداته العقلية حتى ينزل لمستواه الفكري وبذلك يسهل عملية الاتصال بهم، ومعنى ذلك أن ابن خلدون يرى أن دراسة فن التربية والتدريس من أهم ما يعنى به المربون ، كما أنه يوجب اللوم للمدرسين الذين يقتصر اهتمامهم على تربية الحفظ ، وحشو لأذهان التلاميذ بمعلومات ليس لها تأثير على عقولهم ، ولكي يتحقق ذلك لا بد من إعداد المدرسين لمهنتهم ، لذلك اهتم ابن خلدون بإعداد المعلم وخاصة من الناحية التربوية

• وقد أوضح مهارات التدريس الجيد فيما يلي :

- ١- مراعاة النضج والاستعداد ، أى ضرورة مراعاة الاستعدادات والمواهب الفطرية في التدريس .
- ٢- مراعاة التكرار والتدرج المنطقي ، والبدء من الأسهل إلى الأصعب ، وهذا يعنى أنه ينبغي مراعاة التدرج والتكرار أي الإجمال والبدء في التفصيل .
- ٣- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين .
- ٤- الاستعانة بالأمثلة الحسية والوسائل التعليمية التي تعين المعلم في مهنته التعليمية ، فعلى المعلم الاستعانة بوسائل الإيضاح والرحلات في تبسيط الدروس .
- ٥- الرفق والمعاملة الحسنة مع المتعلم وتجنب الشدة على المتعلمين ، وفي ذلك يقول ابن خلدون " في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم (٣) . كما اتفق ابن خلدون مع الإمام الغزالي وابن سينا

(٢) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥

(٣) مقدمة ابن خلدون : فصل الشدة على المتعلمين مضرة بهم ، ص ٥٩٧

فيما يتعلق بتهديب الطفل وفي هذا المجال نادى باستعمال الشفقة ، ومعاملة الأطفال وتهديبهم وتشجيعهم على عمل الخير (١).

٦- معرفة طرق التدريس المناسبة : (٢)

٧- الطلاقة اللفظية والمرونة الفكرية ، كما يجب على المعلم أن يجيد اللغة العربية وأن يكون عارفا بدلالات الألفاظ ، وأن يكون مرنا لأنه يتعامل مع نوعيات مختلفة من (٣).

أما من ناحية " الإعداد الأكاديمي للمعلم " :

فلم يشير ابن خلدون إشارة صريحة إلي هذا فقد أوضح في هذا الفصل أن جودة التعليم وملكاً المعلم تتعكس بدورها على المتعلم وملكته " فابن خلدون أراد أن يقول لنا أن السيطرة الأكاديمية أو التخصص العلمي على درجة كبيرة من الأهمية (٤) .

ثانياً — طرق التدريس :

حدد ابن خلدون طريقتين للتدريس ، طريقة المباشرة أو الممارسة أو التجريب ، وطريقاً الإلقاء والتلقين طريقة الممارسة تكون في تعليم المواد العلمية أو الصناعات " ويقول ابن خلدون أن ملكة الصنائع يكون تكوينها أكمل لو حدث عن طريق المباشرة الفعلية للصنائع بعد فهمها ، ثم تكرار هذه المباشرة الفعلية حتى يتم فعلها ، وعن طريق الممارسة والتدريب تتم عملية فهم الصنعة، ويتم الحذف فيها "(٥). أما طريقة الإلقاء والتلقين ، فهي الطريقة الأكثر انتشاراً في العلوم النظرية (٦)

(١) عبد الجليل شلبي : لمحات من حياة ابن خلدون وآثاره العلمية ، من سلسلة كتبه العدد ١٧٣ ، دار المعارف ،

القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٣

(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ٥٨٩

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٦١٣

أحمد محمود حسين : نظرية المعرفة عند ابن خلدون وآثارها في فكره التربوي ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ - ١٦٠

(٤) مقدمة ابن خلدون : ص ١٦٩ - ١٧٢

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٨٩

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٩٠

كما شرح ابن خلدون طريقة الإلقاء فهي قد اعتمدت على التدرج ونظرية التكوارات الثلاث كما يلي : (١)

- ١ - يجب على المعلم أن يعطى المتعلم الأصول العامة أو الخطوط العريضة من المادة .
- ٢ - في المرحلة التالية يقوم بالشرح ، وإيضاح أوجه الشبه والاختلاف فيما بين القضايا التي تم تناولها .
- ٣ - يقوم المعلم بتدريس الموضوع دراسة متعمقة . وبذلك يكون المعلم قام بتحليل الموضوع ودراسته دراسة شاملة وأصبح ملماً بجوانبه المتعددة ، وهذا الرأي قريب مما نادى به قادة التربية الحديثة أمثال " بستالتوتزى " حيث أنه ينادى بتدريج النمو العقلي للطفل وأنه يأتي على مراحل تدريجية من السهل إلى الصعب .

كما أكد ابن خلدون على ضرورة الاعتماد على وسائل الإيضاح والرحلات في تبسيط الدروس ، فالاعتماد على الأمثلة الحسية ضروري لكي يستطيع التلميذ فهم موضوعات التعليم، لأنه في البداية ضعيف الفهم ، قليل الإدراك وتكون الأمثلة عوناً صادقاً له كما أشار إلى أهمية الرحلة وأثرها في اكتساب المعلومات واللقاء بالمعلمين والأساتذة ، حيث أنه وسيلة الاتصال الشخصي بالأساتذة المشهورين (٢) .

تحذيرات ابن خلدون العامة في طرق التدريس :

كان ابن خلدون حريصاً على تقديم تحذيرات عامة لضمان حسن سير طريقة التدريس المتبعة ، ومن يضمن جودة العملية التعليمية ، كما تحصل العلوم على أكمل صورة

(١) المرجع السابق : ص ٥٨٩ .

(٢) محمد أحمد الصادق الكيلاني : الفكر التربوي في مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .

- أحمد محمود حسين عياد : نظرية المعرفة عند ابن خلدون وأثارها على فكره التربوي ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٢ - ١٦٢ .

ومن هذه التحذيرات ما يلي : (١)

- ١- يجب على المعلم أن لا يلقى الغايات في البداية ، أي لا تقدم للناشئ التعريفات والقوانين العامة مع بداية الدرس ، بل يجب التدرج من السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب .
 - ٢- ضرورة الاتصال في مجالس العلم ، أي لا تكون هناك فترات انقطاع ، لأنها تؤدي إلى النسيان ، وتطول عليه فترة الدراسة أي يجب أن تقدم الدروس بطريقة متصلة لا انفصال بينها ، تأكيداً لمبدأ استمرار واتصال الدروس وتتابعها دون انقطاع .
 - ٣- عدم الخلط بين علمين في وقت واحد ، لا يجوز أن يعلم الناشئ علمين معا في وقت واحد لأن فيه تشتيتاً وعدم تركيز .
 - ٤- يجب على المعلم أن لا يعتمد على الحفظ والاستظهار ، لأن الحفظ يعوق الفهم لذلك فهو يركز على المناقشة في التدريس ، وهي الطرق المتبعة في التربية الحديثة لما له من فوائد علمية ، وهذا يعني أن ابن خلدون دعا إلى ممارسة الأسلوب الديمقراطي في التربية (٢) .
- يتضح من هذه التحذيرات والتوجيهات في طرق التدريس أن النزعة الواقعية والنفعية وكذلك النواحي السيكلوجية متأصلة في فكر ابن خلدون التربوي (٣) .

(١) انظر :

-مقدمة بن خلدون : ص ٥٩٤ - ٥٩٦

-محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ٢٩٣ - ٢٩٧

-فتحية حسن سليمان : الاتجاهات التربوية ، مقدمة بن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٥٨

(٢) المرجع السابق : ص ٤٦٠

- محمد منير مرسى : التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤

(٣) أحمد محمود حسن عياد : مرجع سابق ، ص ١٦٤ - ١٦٦

ثالثاً : العلوم لدي بن خلدون :

لم يحدد ابن خلدون مناهج بعينها لمرحلة دراسية معينة ، ذلك أنه تناول العلم والتعليم كظاهري اجتماعية ، ولم يتناولها كمرب أو مسئول تربوي أو من رجال التربية والتعليم الذين جاءوا بعد عصر النهضة أمثال " لوك ، بستالتوزي ، ملتون . " (١)

" نصائح عامة حول تعليم العلوم لدي ابن خلدون " (٢) :

(١) العناية والاهتمام باللغة العربية حتى يتمكن المتعلم من فهم ما يقرأ ، فغير المتمكن من اللغة يتعذر عليه التعبير عن الفكر وتصبح عملية التعليم والعلم من العمليات الصعبة الشاقة .

(٢) التركيز على النمو العقلي ، والنضج والاستعداد كي يتسنى الفهم والتحصيل الدراسي ، لذلك أكد ابن خلدون على ألا يبدأ بتدريس القرآن الكريم إلا عندما يصل الطفل إلى درجة معينة من التفكير ، فلا بد من البدء بتعلم القراءة والكتابة والحساب ، ثم ينتقل إلى قراءة القرآن الكريم عندما يصل إلى درجة معينة من التفكير تمكنه من فهم معانيه وحفظه (٣) .

(٣) التحذير من تدريس بعض العلوم التي رأي أن ضررها كثير ، وخاصة على المعتقدات الدينية كما رأي أن الفلسفة باطلة (٤) .

(٤) تجنب المختصرات في التعليم . رأي ابن خلدون أن من العوامل التي تقف عقبة في سبيل التعليم اختصارا للكتب مما ينتج عنه نفور التلاميذ من العلم والتعليم (٥)

(٥) عدم مطالبة التلاميذ باستيعاب ما كتب في كل علم .

من المستحيل أن يلم التلميذ بكل ما كتب في كل علم فإن ذلك يعوقهم عن التحصيل . اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم ، والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف مصطلحات التعليم ، ثم مطالب المتعلم والتلميذ باختصار ذلك كله (١) .

(١) عبد الجليل شلبي : لمحات من حياة ابن خلدون وأثاره العلمية (من سلسلة كتبه) ، ١٧٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ص ٤٤ - ٤٥

(٢) أحمد محمود حسين عياد : مرجع سابق ، ص ص ١٥٨ - ١٦٠

(٣) مقدمة بن خلدون : ص ٥٨٩

(٤) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥

(٥) مقدمة بن خلدون : فصل أبطال الفلاسفة ومفتعلها ، ص ص ٥٦٨ - ٥٧٤

(٦) مقدمة بن خلدون : فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عائق عن التحصيل ، ص ص ٨٧ - ٨٨

خاتمة

لكي تكتمل جوانب الدراسة كان من الضروري أن نتعرف على مدارس التربية الإسلامية . ذلك لإيضاح أهم الآراء التربوية لدى أعلام الفكر الإسلامي - تلك الآراء التي نادت بها الاتجاهات التربوية الحديثة في القرن العشرين - وذلك للاستفادة منها في مجال التربية بصفة عامة ، والتعليم بصفة خاصة . بدلاً من الاعتماد على الفكر التربوي لدى علماء الغرب رغم عدم توافقه مع طبيعة المجتمع الإسلامي . فلا بد من إحياء التراث الإسلامي في مجال الفكر التربوي والتعرف عليه ، فالباحث في مجال التربية يجد أن الطلاب يعرفون الكثير عن أعلام الفكر الغربي بدلاً من أعلام الفكر الإسلامي .

وقد حققت الدراسة تلك الأهداف من خلال المحاور التالية :-

- مدارس التربية الإسلامية وقد انحصرت في أربعة مدارس هي
- (المدرسة الفلسفية ، المدرسة الكلامية ، المدرسة الصوفية ، المدرسة الفقهية)
- الفكر التربوي لدى ثلاثة من أعلام الفكر الإسلامي (ابن سينا ، الإمام الغزالي ، ابن خلدون) .